تفكيك التسامح واللاتسامح:

بشـر متعصـبون.. سياسـات وأديـان وأعـراق

سأعرض في هذه المقالة بعضا من رؤيتنا لأنفسنا كمجتمع ينطوي على تناقضات جمة تترنح بين التسامح واللاتسامح وأقدم بعض مقاطع من كتاب المفكر مايكل أنجلو ياككوبوتشي (أعداء الحوار- أسباب اللاتسامح ومظاهره)، وسيتضمن القسم الثاني نظرة موسعة لأهم فصول الكتاب التي تلقي الضوء على الطائفية والتعصب وأشكال اللاتسامح السياسي والثقافي والديني في المجتمعات الإنسانية.

■ لطفية الدليمي

القسم الأول

نعاني في مجتمعنا العراقي من اللاتسامح كأفراد وجماعات نتيجة التربية المنغلقة والموروث المتشدد الذي يحظر مناقشة المقدس أو حتى الاقتراب منه، وبسبب التعليم الشوفيني التلقيني الذي لا يبيح الحوار والنقاش ويركز على قيم ومفهومات موروثة راسخة، فمعظمنا نشأنا في أجواء اجتماعية لا تؤمن بالحوار بل تفرض بدلا منه الطاعة المطلقة في البيت والمدرسة وفي الحظيرة السياسية، كما تفرض على الأفراد الطاعة التراتبية في البيت والمجتمع، فليس لنا أن نناقش او نعترض على أية فكرة يقدمها من هو اكبر منا مهما كان شططها، بل يتوجب قبولها دون جدال وإلا خرجنا على السراط المحدد للناس الأسوياء حسب المعايير السائدة، ومن هنا صارت لدينا نزعة خطيرة لتقييم الآخرين وإصدار أحكام سلبية تخص تقويمنا لهم، واعتدنا أن نتسرع في الحكم على الناس والأشياء في ردات فعل لا تعتمد التفكير المنطقي بل تلجأ غالبيتنا إلى التعميم المطلق في إصدار الأحكام وساعد سلوكنا التعميمي في تجذر اللاتسامح والتعصب في شخصية الفرد العراقي الذي صيغت شخصيته تحت مطرقة الطاعة المطلقة والإذعان التام للأوامر العليا من الآباء والمعلمين والساسة.

والمتعصب اللامتسامح هو من يقسم العالم إلى ابيض واسود، إلى خير وشر، والى حق وباطل، فاللامتسامح يسكنه اللون الواحد والاعتقاد المطلق بأنه على حق دائما وكل ما عداه خطأ مطلق.

يشير الشاعر بول فاليري في خطاب شهير له في جامعة السوربون سنة ١٩٣٢ قبل عام من صعود النازية إلى أن (اللاتسامح يمكن إرجاعه إلى هوس النقاء)، ومعروف أن النازية والفاشية وجميع الحركات المتعصبة والشوفينية تنادي بالنقاء العرقي وترفض الآخر المختلف الذي لا يملك سمات تشبه معاييرها العنصرية.

والمتعصب اللامتسامح لا يريد أن يعرف أسباب تعصبه ويفككها فهو موقن من امتلاك الحقيقة المطلقة التي لا يمكن الجدال فيها، ويدعو جميع الآخرين إلى الإيمان بما يؤمن، وإذا رفضوا فإن جزاءهم التهميش أو الإقصاء والتصفية الجسدية، وهي أقصى ما وصلت إليه نزعة اللاتسامح بتفشي الإرهاب المنظم..

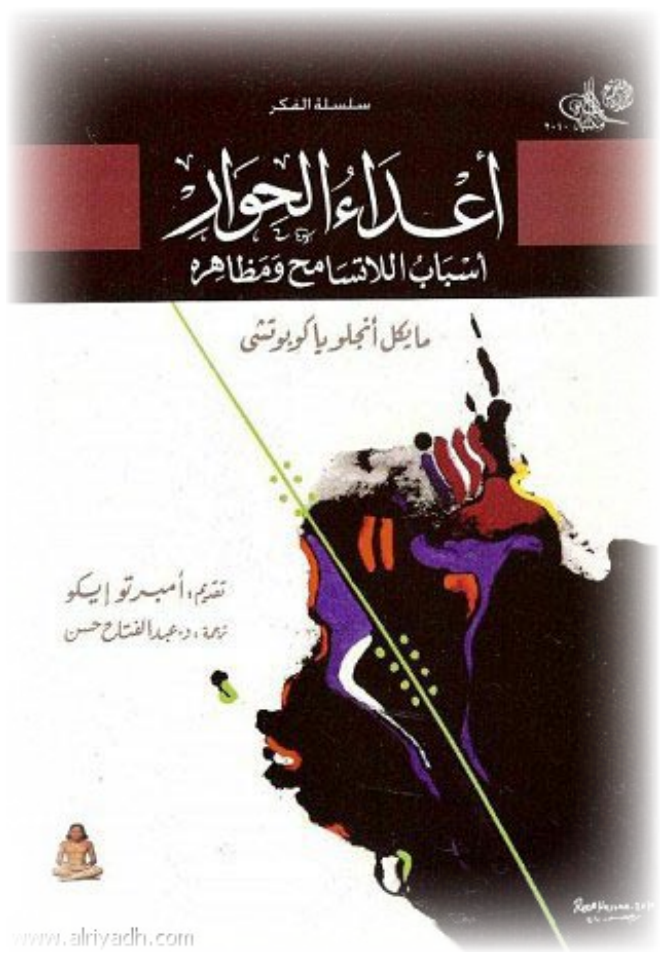

يذكر مايكل أنجلو ياكوبوتشي في أول فصول كتابه الضخم (أعداء الحوار – اللاتسامح أسبابه ومظاهره)، انه من الصعب الخوض في حديث عن التسامح واللاتسامح فنحن لا ننجح حتى في الاتفاق على المعنى الذي نعطيه لهذين المصطلحين كما من الصعب تحديد معنى لمصطلحات مجردة أخرى مثل (الحرية والديمقراطية) فكلاهما يتخذان معاني مختلفة مع أناس مختلفين..

إن مصطلح (تسامح) مصطلح حديث في الفكر الإنساني فقد ظهر في أوروبا بدايات عصر التنوير مع نهاية الحروب الدينية بين المذاهب وتزامن ظهور المصطلح مع نمو الأفكار الثورية وترسخها.. أما اللاتسامح فإنه النقيض لكلمة تسامح وهي في حقيقتها تعني الانغلاق التام تجاه الآخر المختلف وهي نزعة متعسفة قاسية وقديمة قدم الإنسان، ونجدها في جميع الأديان والمذاهب والأيدلوجيات والأعراق والقوميات،واللامتسامح في خبرة الناس الذي يتعاطون معه شخص عاجز عن الدخول في حوار أو نقاش لأنه غالبا بل دائما يفكر ويتكلم وحده دون أي حوار مع الآخر.

يخبرنا ياكوبوتشي بان هناك أربعة أشكال رئيسية من اللاتسامح أي أربعة مظاهر نلاحظ فيها ظاهرة التعصب القصوى كاللاتسامح الديني واللاتسامح الثقافي واللاتسامح السياسي واللاتسامح الإيديولوجي المذهبي.وهي أربع طرق لرفض الحوار تقوم كلها على اليقين المطلق بما تراه حقيقتها ولا تتقبل وجود أية حقيقة تناقض يقينها، فاللاتسامح الديني يستمد قوته من حقيقة تأتي من الله واللاتسامح الثقافي هو اليقين المطلق لحقيقة واحدة تنحدر من الآباء والأسلاف، أي الثقافة الموروثة، أما اللاتسامح السياسي فهو اليقين المطلق لحقيقة واحدة تأتي من القائد والرئيس والديكتاتور الذي لا يؤمن بالحوار مطلقا، وأما اللاتسامح الإيديولوجي فهو اليقين المطلق لحقيقة واحدة تأتي من العقل..

نعلم أن معظم مفردات التراث الإنساني في جميع الثقافات على ارض البشر تتضمن نوعا (من ديكتاتورية) الماضي وتؤمن بالحقائق المطلقة ومن هنا تنشأ ضرورة تصدي الثقافة المعاصرة الحرة لتفكيك ديكتاتورية التراث المنطوية على جذر اللاتسامح ليصبح التسامح القاسم المشترك الأدنى للعيش والتعايش بين الأجناس والأعراق والأديان والمذاهب، ويستمد المتعصبون حجة الحقيقة المطلقة من النص الموروث المحصن ومن الزعيم والايديولوجيا التي يمثلها..

يقرر ياكوبوتشي (يجب أن لا نخلط بين التضامن والتسامح) فالتضامن برأيه يتحول إلى كليشيه تفيد في تغذية الخطابات السياسية البلاغية وهو من المفهومات الأقرب للمحبة والتآلف، ذلك التآلف والتقارب والتحاور الذي بوسعه لو اتسع طيفه في المجتمع أن يحد من العنف والصراعات – التضامن يكاد يقترب من المفهومات الكلاسيكية للرحمة والشفقة والمحبة وتشاطر الأحزان – بمعنى انتمائه إلى التعاليم الدينية لدى البوذة والمسيحية والإسلام..

وهناك في هذا العصر اعتقاد سائد بان المتسامح هو إنسان ذو عقلية متفتحة وهو منفتح ويتقبل الآخر ويتحاور معه ويتواصل عبر النقاشات والتعايش اليومي، يقول ياكوبوتشي (للتعبير عن مفهوم المتسامح يستخدم الانكلو سكسون مصطلح (متساهل) ليبرال (liberal)، أما البعض الآخر فيرى أن المتسامح شخص سهل الجانب يتحمل قدرا كبيرا من الظلم دون أن يتذمر، وكلا الأمرين غير صحيح لان التسامح هو بين هذا وذاك يقع في منطقة بينية رمادية فهو حل وسط بين التفهم الكامل والرفض التام)، وبعد إيراد أمثلة متعددة من التحولات الاجتماعية الأوروبية وموقفها من الأحداث وإبداء نمط معين من التسامح إزاءها ويقودنا هذا إلى عدم الخلط بين التسامح واللامبالاة ومن يتسامح يتحمل أمورا فوق طاقته، يتحمل شيئا يسبب له الضيق فيدع الأمور تجري بهدوء ليضمن سلامه الذاتي لكنه في الحقيقة يتألم بسبب تأذي مشاعره وارتباك عاداته وهذا يعني أن من (يتسامح) ينجح بصعوبة كبيرة، في أن يضع نفسه مكان الآخر وهي نقطة حرجة من العسير بلوغها تماما مع الاحتفاظ باليقين الشخصي دون تغيير، فأن يكون المرء متسامحا لا يعني أن يتخلى عن يقيناته ولكنه سيكون متحفظا إزاء كل فكرة أو حقيقة مطلقة، ومعنى هذا أن المتسامح لا يتعنت كثيرا بل يناصر الحوار إنما يحتفظ بحقائقه ويقيناته الخاصة.

(يتبع)

وجهة نظر

هفوة على منصة الشعر

محمود النمر

تاريخ اتحاد الأدباء حافل باكتشاف الشموس التي لم تحن ساعة بزوغها، لذلك هو معنٍ بالاحتفاء بها والتبشير بأن هناك شمسا اكتملت بالتوهج، وما علينا إلا أن نزيح الستار عنها،وعليها أن تطارد جيوش الضباب لتظهر أكثر إشراقا في فضاء الشعر أو السرد.

كعادتي المتكررة في متابعاتي لأنشطة جلسات اتحاد الأدباء المعروفة من السبت إلى الخميس، كنت في جلسة نادي الشعر يوم السبت الماضي، وكان المحتفى به المهندس الشاعر توفيق السلمان بمناسبة صدور ديوانه "زهرة الألم"، وكان المقدم لهذه الجلسة الإعلامي احمد المظفر الذي قدمه بأنه شاعر جديد يصدر مجموعته الأولى وهي"زهرة الألم"، وقد أنصف احمد المظفر الرجل حين قال: ربما يسأل الكثير من الجالسين من هو توفيق السلمان الذي نحتفي بتوقيع كتابه في هذا الصباح؟ هو مهندس يعمل في وزارة الكهرباء.

هذه صفة أخرى ناضجة أضافت للشاعر هيبة لأنه استطاع أن يمسك رمانتين في يد واحدة، وان يمر هذا التيار الضوئي لتظهر لنا قصائد مكهربة من فئة ٢٢٠ فولت، او اقل حتى لا تقتل الحاضرين.

كانت الجلسة مكتظة بالحضور من أدباء ومثقفين وبحضور رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين، الناقد فاضل ثامر، وكذلك حضور غفير من وزارة الكهرباء التي لم تتكرم علينا بمد خط كهربائي ساخن لمدة ساعتين لإضاءة جلسة مهندسهم الشاعر الذي جاء يعمّد قريحته وكتابه البكر في بيت الجواهري.

حين قرأ الشاعر قصائده... أصابتانا خيبة الأمل وظهر الوجوم على جميع الوجوه التي تعنى بهذا الأمر وخاصة النقاد والشعراء، ما عدا الذين كانوا في ركب الشاعر من المشجعين.

تنفست الصعداء حين ارتقى الناقد فاضل ثامر المنصة واظهر امتعاضه من تلك الجلسة قائلا: " الحقيقة بالنسبة لي لم اسمع باسم الشاعر ولم اطلع على الديوان، اطلعت عليه حاليا وأصغيت إلى بعض القراءات الشعرية والى مداخلتين، المصارحة والمكاشفة ضروريتان في مثل هذه الحالة في تقديري، الناقد باللغة يقال انه مثل الصائغ الذي يستطيع أن يميز مختلف صنوف المعادن الثمينة وخاصة الذهب،وأنا اعتقد أن الصائغ الحقيقي يستطيع أن يقول أن هذا ذهب حقيقي وهذا ذهب مزيف ويبيّن نوعيته، عندما سمعت هذا الشعر واطلعت عليه سألت نفسي،هل هذا شعر أم غير شعر؟ واعتقد أنه كان ينبغي لنا ألا نشجع مثل هذه التجربة ونسمح لها أن تقدم على منصة الاتحاد،لان تجربة مثل هذه بسيطة ومتواضعة وتعود إلى ما قبل تجربة نازك الملائكة، فصاحبها شاعر لا يزيد على تجربة شاعر عمودي مباشر، واخوانيات وكلام نثري ليس إلا،لا تجد فيه روح الشعر الحقيقية. هذا كلام ممكن أن يوجد في قرون مظلمة سابقة".

نعرف أن مهمة نادي الشعر الأولى الاحتفاء بالشعر لا (بالشخوص) مهما كانت درجاتهم أو انتماءاتهم،ويجب الاطلاع على التجربة الشعرية قبل الشخوص، ولا أتصور أن القائمين على رئاسة نادي الشعر لا يميزون هذا إلا أنها (هفوة على منصة الشعر) جاءت نتيجة تأثيرات جانبية وعدم وضع منهاج لجلسات النادي وتعيين الاحتفاء بالشعراء القادمين من المنافي أو الذين صدرت لهم مجاميع جديدة أو حتى الاحتفاء بالأصوات الجديدة ذات الأثر الواضح والمواهب الناضجة،وهذا من حق الجميع ولا يمكن أن نقطع الدرب على المواهب التي تثبت للجميع قدراتها.

الشاعر عمر السراي تحدث بإيجاز سلس ومنضبط وملغز وقال: "الفرق بين الشعر واللاشعر فقط هو أن أقول بأن من يطرح منجزه للتداول عليه أن يتحمل كل شيء، لذلك أدعو الصديق توفيق السلمان إلى ألا يزعل وألا يحس بشيء في قلبه لأنه طرح منجزه قيد التداول وطبع المجموعة وأصدرها في كتاب، لذلك علينا أن نتحدث، فالحديث عن تضخم الظاهرة الشعرية له سبب رئيس هو تضخم الظاهرة النقدية قبل هذا الشيء. يقال لماذا هذا العدد الكبير من الشعراء؟ أليست العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة، والمعيار هو الناقد، هو الصيرفي العتيد الذي يستطيع أن يميز بين الدرهم الحقيقي والمزيف؟ طيب ما الذي نفعله اذا كان النقاد منهم زائف ومنهم حقيقي، إذا تضخمت الظاهرة النقدية، كيف نستطيع أن نميز الشعر وقد فشلنا في تمييز النقد... أحاسب نفسي أولا وأحاسب النقاد وأحاسب الشعراء واعتذر واحيي الأستاذ توفيق السلمان مهندسا معماريا وأتمنى أن يكون بارعا وسليل قضاة.

كانت هناك مداخلتان للناقد بشير حاجم والناقد زهير الجبوري اللذين لم تتوفر لهما القدرة على المواجهة الأدبية فاتخذا جانب المحاباة في المداخلتين ولم يكونا دقيقين في الشكل المطلوب ووضع قصائد الديوان تحت المعايير النقدية، وهذا ما نحتاج اليه في إظهار من هو مبدع أو من هو خارج منطقة الضوء!

المعايير في الأدب تختلف كليا عن كافة المعايير إلا"بالإبداع"، وهي القدرة المتكونة في ذات المبدع سواء كان هذا المبدع من الشغيلة أم من الأكاديميين،لا فرق بينهما سوى جمرة التوقد المؤثرة في المنجز الإبداعي، وكثيرة هي الأمثال دون أن نذكر أسماء. حسب ظني أنها عثرة مؤلمة أصابت الحضور بمن فيهم هيئة نادي الشعر، واعتقد أن هناك جذوات متقدة تحت هذا الرماد المتراكم.

مجنون ساحة الحرية

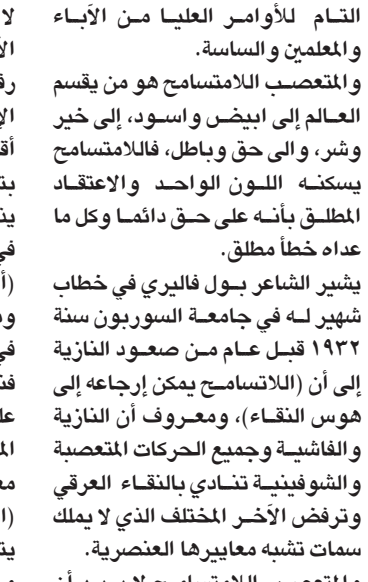

بدعم من الصندوق العربي للثقافة والفنون (آفاق) صدرت مجموعة (مجنون ساحة الحرية) القصصية للكاتب العراقي حسن بلاسم عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر. يذكر أن قصص (بلاسم) قد صدرت في اللغة الانكليزية قبل اللغة العربية عن دار كوما بريس في انكلترا عام ٢٠٠٩. رشحت المجموعة لجائزة القصة والرواية الأجنبية في صحيفة الاندبندت عام ٢٠١٠، وكذلك جائزة فرانك أوكنور العالمية في العام نفسه. والمعروف أن حسن بلاسم كما يقول عنه الروائي علي بدر ينتمي إلى تقاليد القصة العراقية، وهي الأعرق في العالم، ويتجاوزها إلى أفق إنساني غير محدود، وسيتحول في السنوات القادمة إلى واحد من أهم كتاب القصة في العالم.

كما أن صحيفة الغارديان قالت عنه: حاد وصادم.. أكثر من متوهج ومروع كي يندرج في تقرير، هذه القسوة والفكاهة الأولية لها وخزات وتقلبات سرعان ما تستقر في أي عقل.

يذكر أن مجموعة (بلاسم) القصصية حظيت بمراجعات عديدة في الصحافة العالمية، وستصدر هذا العام ٢٠١٢ في اللغة الايطالية والفنلندية. تقع المجموعة في ١٩٦ صفحة من القطع المتوسط. صورة الغلاف للفنان العراقي ضياء خالد والغلاف من تصميم زهير أبو شايب.

"ممر الـدمـوع".. الانـفـتـاح عـلـى الـعـالم

عـادل العـامـل

يُعد المؤلف الجيبوتي الفرنسي الشاب عبد الرحمن أ. وابري Abdourahman A. Waberi، كما يقول أندرسون تيبَر في عرضه هذا، واحداً من أكثر كتّاب الموجة الجديدة الأفارقة إبداعاً، كما أنه فريد في مدى تأثيراته. ولعمله من التنوع الأدبي ما يذكّرنا بنور الدين فرح، ورامبو، وولتر بينجامين، وهو ما يمنحك أيضاً إحساساً بالكيفية التي استمر بها في مزج توقعات الأنواع الأدبية والكتابة الأفريقية معاً. وقد تُرجم له سابقاً كتابان هما (أرض بلا ظلال)، وهو مجموعة من الحكايات الشعبية، والقصص المجزّأة، والتأملات في حياة بلدة الأكواخ؛ و(في الولايات المتحدة الأفريقية)، وهو حكاية رمزية ساخرة عن عالم انقلب فيه توازن القوة بين أوروبا وإفريقيا. أما في كتابه الأخير (ممر الدموع Passage of Tears)، فيتأمل وابري مرةً أخرى أرض موطنه الأصلي من زوايا متنوعة. وهنا يتساءل جبريل، الشخصية الرئيسة في الكتاب، "وأي شيء كانت جيبوتي في الأصل؟ حفنة من الجزر الصغيرة السحرية التي نهض فوقها التاريخ وتحرك متلوّياً مثل الإعصار لقرون.

فعلى المستوى الأكثر مباشرةً، يبدو (ممر الدموع) مشدوداً على نحو محكم بتوترات رواية الإثارة. فقد جاء جبريل، الذي قضى الخمسة عشر عاماً الماضية وهو يعيش في الخارج في كندا، ليجمع معلومات استخبارية لصالح شركة غربية بشأن هذا الموقع الإستراتيجي لشحن نفط العالم، عبر "ممر الدموع" من شبه الجزيرة العربية. وكما يكتب في دفتره، "إن مهمتي تختص بتحسس درجة الحرارة على الأرض، للتأكد من أن البلد آمن، والوضع مستقر، والإرهابيين تحت السيطرة". و حتى حين يصبح واضحاً أنه يتابَع وحياته تتعرض للخطر. فإن استغراقاته التأملية تتحول إلى الداخل، متلوّنةً بذكريات الطفولة. ويستعيد ذكرى الراحة التي كانت تحققها حكمة جده؛ والليالي التي كانت تقضى في سينما المنطقة الوحيدة؛ والأيام الواعدة وهو يتسكع على الشاطئ مع صديقه اليهودي، ديفيد. وكما يقول، "لقد كنا نحب الريح الجنوبية، الشديدة الغبار، التي تعطينا الانطباع بأن العالم بلون العسل، وأن القدر ليس متجهماً بالضرورة".

لكنه يذكّر أيضاً بالاغتراب المرير مع أخيه التوأم، جمال، وهو متطرف إسلامي تشكل كتابته من السجن موازياً خشناً مع تأملات جبريل العاطفية. ويمكن لهذين الصوتين المتبارزين أن يبدوا كافيين لتشكيل كتاب ضئيل حول المنفى والوطن، الإيمان والحرية، في هذا الركن الصغير من القرن الأفريقي. مع هذا فإن طبقة أخرى تتكشف تدريجياً أيضاً. فبالنسبة لجريدة سجن جمال، مثل الرواية ذاتها، نوع من ورق أثري للكتابة: فتحت تعويذات جمال اليومية هناك الحبر المتلاشي تقريباً لنصٍّ يعود للفيلسوف اليهودي الألماني ولتر بينجامين (الذي يتصادف أنه أحد المؤلفين المفضّلين لدى جبريل)، وهو مقالة احتفاء بـ"مدينة النور" وبحثه الخاص عن الحرية الشخصية.

وأخيراً، فإن صوت بينجامين هو الذي يسود، محوّلاً الراديكالي الإسلامي نحو رؤية أكثر انفتاحاً على العالم. وكما يدرك جميل هذا، "الشيء الرئيس هو أن قصة ولتر بينجامين، الفيلسوف المنفي في باريس، قد وجدت طريقها إلى حياتي، ساقيةً إياها بسحرها التحتاني underground. لقد أسرتني؛ أو بالأحرى، غلبتني". فهل يبدو غريباً أن تكون لولتر بينجامين، المفكر الأوروبي، الكلمة النهائية في هذه الرواية المعبّرة عن تصادم الفِكَر في جيبوتي العصر الحديث؟

عن: wordswithoutborders